

وظائف تلاوة القرآن وأسرارها



محاور الموضوع

١. مقدمة.
٢. وظائف تلاوة القرآن وأسرارها.
٣. حظ القلب.
- أولاً: زيادة الإيمان
- ثانياً: شرح الصدر وتطهير السريرة.
- ثالثاً: القلب السليم.
- رابعاً: الخاتمة.

الهدف

استشارة دواء داء القلب.

تصدير الموضوع:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)
 ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُهُمُ الْغَايَةُ﴾^(٢)
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣)
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤)
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٥)
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٦)
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٧)
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٨)
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٩)
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(١٠)
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾^(١١)

﴿أغلقوا أبواب المعصية بالاستعاذة﴾^(١٢). يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١٣). وعن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة فتحتها؟ فقال: «نعم، فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وذكر أن الرجيم أحبب الشياطين^(١٤).

الثانية: الافتتاح بالسملة والتسمية ولا تفتح أبواب الطاعة إلا بها، هذا ويضاف إليه الذكر المتكرر لصفتي الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية حيث ترسخان ملكة العفو والمغفرة في نفسه الإنسان وتزيده اطمئناناً، ففي الحديث «وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية»^(١٥).

الثالثة: باعتبار أن الآيات الشريفة ليست بالنثر ولا بالشعر فلا بد أن تكون القراءة بأسلوب ينسجم مع طبيعة الآيات وهو يختلف عن أسلوب النثر والشعر وقد اصطلح عليه القرآن بالترتيل حيث يقول: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(١٦)، وقد فسره الإمام عليه السلام بقوله: «بينه تبياناً، ولا تنثره

تعالى وآياته وعدم تمكن القلب من العقد على عقيدة دينية^(١٧)، هذا وغيره يؤدي إلى مرض القلوب، وأما موت القلوب فيحصل بالنفاق ويتجسد بالمنافقين. وأما سلامة القلب وصحته هو استقراره في استقامة الفطرة، ولزومه مستوى الطريقة، ويؤول إلى خلوصه في توحيد الله تعالى وركونه إليه عن كل شيء يتعلق به هوى الإنسان، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١٨).

وظائف تلاوة القرآن وأسرارها:

من هنا نبدأ بأعظم عملية علاجية لداء القلب لأن تلاوة الآيات الشريفة تقود القارئ إلى الالتزام بأداب القراءة وبعبارة أخرى فإن وظائف التلاوة تقضي إلى نتائج علاجية للقلب وتقوّم السلوك العملي للفرد، والوظائف هي:
 الأول: ينبغي للقارئ أن يبتدئ التلاوة بالاستعاذة ومن أسرارها أنها تغلق أبواب المعصية وهو هدف بحد ذاته يطلبه الناجون ففي الحديث عنهم

تقدمة: إن قلب العبد كجسده معرض للإصابة بالمرض أو الموت ويزيد القلب عليه أنه يصاب بالصدأ أو القساوة. فيدل على المرض والقساوة قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتَنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُ﴾^(١٩). ويدل على موته: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(٢٠).

وأما ما يدل على الصدأ الذي يصيب القلب قول النبي ﷺ: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد»^(٢١).

وكما أن للجسد علاجاً فكذلك هناك علاج للقلب لأن النسبة بين المرض والصحة والموت والحياة نسبة البصر والعمى، فيحل البصر فيما له قابلية العمى والمهم هو بيان الدواء بعد بيان الداء، يقول العلامة الطباطبائي (قدس) مرض القلب - في عرف القرآن - هو الشك والريب المستولي على إدراك الإنسان في ما يتعلق بالله

(٧) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٣١٦.

(٨) (النحل: ٩٨)

(٩) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢١٥.

(١٠) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢١٦.

(١١) (المزمّل: ٤٥)

(٤) تفسير الميزان، الآية ٥٢ من سورة المائدة، ح ٥.

ص ٢٧٨.

(٥) تفسير الميزان، الآية: ٥٢، المائدة، ج ٥، ص ٢٧٧.

(٦) (الشعراء: ٨٨، ٨٩)

(١) (الحج: ٢٥)

(٢) (الأنعام: ١٢٢)

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٢، وكذا الحال خ ٢٤٤.



الرمل، ولا تهذه هذ الشعر، قفوا عند عجانبه»^(١)... ومن أسرار التلاوة ما انطوى عليه فئة من المؤمنين وهم المتقون حيث يرتلونه ترتيلاً فيحزنون به أنفسهم ويستثرون به دواء داءهم^(٢).

الرابعة: من أهم وظائف التلاوة التركيز والتأمل في الآيات وتوجه العقل إلى باطنها وهو ما يعبر عنه بالتدبر يقول القرآن الكريم ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

ومن أسرار التدبر هو كسر الأفعال عن القلوب لنثر بذور الهداية فيها فتثبت استقامة وبصيرة ووعيا، يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٤)، وفي الحديث: «آيات القرآن خزان العلم فكلما فتحت خزانه فينبغي لك أن تنظر فيها»^(٥). إذ التدبر في القراءة كالتفقه في العبادة، فإذا فقدت القراءة التدبر كما تفقد العبادة التفقه، فعنه عليه السلام: «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه»^(٦).

الخامسة: الحضور القلبي مع كل آية وأن تتلى مع الحزن والانكسار، فعن النبي ﷺ: «اقرأوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن»^(٧). وقد روي في البحار أن الإمام الرضا عليه السلام وهو في طريقه إلى خراسان كان يكثر في الليل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل الله الجنة وتعوذ

به من النار^(٨).

ثالثاً: القلب السليم:

بعد الإشارة إلى أن البعد المعنوي في الإنسان الذي نعبّر عنه أحياناً بالقلب أو الروح، قد يصيبه ما يحجبه عنه الله تعالى بسبب المعاصي والآثام وأخطر ما فيها النفاق حيث يؤدي إلى موته ولكي نحافظ على سلامته ونعمل على صونه ليبقى سليماً مطمئناً والسبيل إلى ذلك من خلال ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٩) والطمأنينة فعل نتيجة للخشوع ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١٠).

ولم يتوقف تأثير تلاوة آيات القرآن عند حد معين بل يصل إلى الكيان الوجودي للفرد فيصير في العالم الملكوتي بمقدار تفاعله مع الآيات الشريفة حيث يقول الله تعالى: ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(١١). هذه من صور الدنيا، وأما صورته البرزخية فيقول الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله مع السفرة البررة وكان القرآن حجيراً مانعاً عنه يوم القيامة، يقول القرآن: يا رب إن كل عامل قد أصاب عمله غير عاملي فبلغ به أكرم عطاياك، فيكسوه الله حلتين من حل الجنة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثم يقال له (للقرآن) هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن نعم»^(١٢).

حفظ القلب:

أولاً: زيادة الإيمان: باعتبار أن التالي

لأجزاء القرآن سيجد موضوعات قرآنية متعددة تنقله من حال إلى حال ويجول مع كل فكرة تبعاً للمستطردات القرآنية. فتتبر قلبه وهذا مما يزيد في إيمانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١٣). فعلى سبيل المثال نلاحظ أن السعي بين التشويق والتخويف كما هو عليه حال المتقين الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «فإذا مروا بآية فيها تشويق ركعوا إليها طمعاً وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم»^(١٤). يعرج بأرواحهم من هذا العالم إلى عالم آخر فيزدادون تعلقاً بالله تعالى.

ثانياً: شرح الصدر وتنوير السريرة: الصدور الضيقة الحرجة والسرائر المظلمة تفتقر إلى الانشراح والاستنابة وأفضل عامل لهما معاً هو تلاوة القرآن الكريم فني الحديث: «أفضل الذكر القرآن، به تشرح الصدور، وتستنير السرائر»^(١٥).

خاتمة: من أسرار القرآن أنه يوفر لكل ذي حاجة حاجته ويجد كل طالب ضالته فيه فهو ريّ النفوس الظمأ وربع القلوب وطريق العلماء، وبذلك وصفه أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق العلماء، ودواء ليس بعده داء ونوراً ليس معه ظلمة»^(١٥).



(١٢) (الأنفال: ٢)

(١٣) خطبة المتقين ١٩٢.

(١٤) غرر الحكم.

(١٥) نهج البلاغة، خطبة ١٩٨.

(٨) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢١٠.

(٩) (الحديد: ١٦)

(١٠) (مريم: ٥٨)

(١١) مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٦٠٤.

(١) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢١٥.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

(٣) (ص: ٢٩)

(٤) (محمد: ٢٤)

(٥) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢١٦.

(٦) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢١٦.

(٧) الكافي، ج ٢، ص ٦١٤، وكنز العمال، غ ٢٧٧٧.